

بيت الأحرار

[90] ضرعها : فصيرها في حوزة خساء ، يغلظ كلمها ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمر الله بخطط وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة . حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم ، فيا الله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، وما الآخر لصهره ، مع هن وهن . إلى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث عليه قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته . فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلى ، ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسان ، وشق عطفائي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكث طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول : * (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) * بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زبرجها . أما والذي فلق الحبة ، وبرء النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كطة طالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلا على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولأفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز . قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا ، فأقبل بنظر فيه ، فلما فرغ من قرائته ، قال له ابن عباس " رحمه الله " : يا